السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس أول أيلول 2016 – الموافق 29 ذي القعدة 1437 هـ ـ العدد 13455

AS-SAFIR Arabic political daily - Thursday September 1st, 2016 N° 13455

1

الدراما العربية تكرّس وضعيات دنيا للمرأة، بل تحفّز عليها، بما لا يطابق أصلا واقعها الفعلي في مجتمعاتنا. وعن الوصولية وتبديل المواقف و«القناعات» بحسب الظروف: نموذج وزير الثقافة المصري.

2

سيرة الأشرفية بحلب، حي شعبي ضخم سكنته فئات متنوعة من أرمن وعرب وكرد.. وانتهى إلى دمار. وفي «بيتونة»: جمعية آكلي الرصاص، وفي «فكرة»: لا مكان لغير المطبلاتية في الإعلام المصري.

3

روسيا واليمن: عشق قديم وغزل جديد.. ووظائف متوالية. وفي «بألف كلمة» الاحتفال بعيد السيدة العذراء في أسيوط. ومزيد على الموقع: «منيش مسامح» في تونس، وماذا يفعل الأميركيون في قرى المغرب، وسواها..

4

الهيمنة البريطانية على الخليج: استعمار أم صداقة؟

منذ أيّام، وبمناسبة ذكرى استقلال الهند (في 15 آب/ أغسطس)، أرسل كلٌ من ملك البحرين وعمُّه رئيس الوزراء، رسالتيْ تهنئة إلى رئيس جمهورية الهند. وكذلك أرسل ولي عهد البحرين ورئيسا مجلسي الشّورى والنوّاب برسائل تهنئة إلى عدد من المسئولين الهنود. لم تُشر تلك الرسائل، ولا وكالة أنباء البَحرين ووسائل الإعلام المحلّيّة، إلى أن ذلك اليوم يصادف أيضاً الذكرى الخامسة والأربعين لإعلان استقلال البحرين. فالعائلة الحاكمة هنا لا تحتفل بذكرى الاستقلال وتصر على أنّ العيد «الوطني» الرسمي هو في 16 كانون أوّل / ديسمبر، الذي يصادف «عيد جلوس» والد الحاكم الحالي في 1961. وهو الحاكم نفسه الذي كان يطالب البريطانيين بعدم الانسحاب من المنطقة، بل عرض عليهم المساهمة في تمويل بقاء قواتهم فيها.

يختصر الاختلاف على «اليوم الوطني» بين العائلة الحاكمة وقوى المعارضة، حسبما لاحظ الباحث البحريني نادر المتروك، «المعضلة الكبيرة» التي تواجه البلاد منذ انسحاب البريطانيين – أي الإخفاق في بناء الدولة. وهو إخفاقٌ يستند استمراره على مقاومة العائلة الحاكمة لكل محاولة لإقامة مساحات وطنية مشتركة بين مكونات المجتمع البحريني المنقسم طائفياً وإثنياً وطبقياً. وبدلاً من المساهمة في إيجاد حلول لمعضلة بناء الدولة، تتخذ العائلة الحاكمة إجراءات أمنية وسياسية تزيد من تعقيد تلك المعضلة.

أي استقلال؟

قبل ثلاث سنوات، وضمن الاحتفالية الرسمية بالعيد الوطني في 2013/12/16، ألقى ملك البحرين خطاباً أعاد فيه كتابة جزء من تاريخ البلاد. وقتها أعلن أنّ البحرين لم تكن أبداً خاضعة لبريطانيا وأنها منذ أن استولى عليها أجداده في 1783 أصبحت «دولة عربية مسلمة مستقلة ذات سيادة». وفي تصريحات وخطبٍ تالية، كرر الملك سبب عدم احتفاله بعيد الاستقلال (وعدمَ السماح للمعارضة بالاحتفال به). ففي رأيه، لم تكن البحرين خاضعة يوماً للهيمنة البريطانية، ولهذا فليس ثمة حاجة للاحتفال باستقلالها. التزم الإعلام الرسمي منذ ذلك الوقت بتكرار هذه الرواية: أنّ ما بين البحرين وبريطانيا هي علاقة صداقة تاريخية ممتدة منذ قرنين. ولترسيخ هذه الرواية، أتمّتْ سريعاً الترتيبات للاحتفال في كانون الثاني/ يناير الماضي بمرور مائتي سنة على «الصداقة البحرينية ــ البريطانية». كما تولّت البحرين طيلة الأشهر الستة الماضية تمويل عدد من الفعاليات الباذخة في لندن وضواحيها، بالإضافة إلى الفعالياتً الأقل صخباً في البحرين.

الرابط الاستعماري في الهند والخليج

الصدفة وحدها جعلت استقلالي الهند والبحرين في تاريخ واحد. إلاّ إن العلاقة وثيقة بين الهيمنة الاستعمارية البريطانية على البلديْن. وهي علاقة تمتد جذورها إلى انتصار بريطانيا في بداية القرن التاسع عشر على فرنسا، آخر القوى الاستعمارية الأوروبية التي نافستها على الهيمنة على الطريق إلى الهند وجنوب آسيا. تمكّنت بريطانيا في العقديْن الأوليْن من القرن التّاسع عشر، تحت غطاء مكافحة القرصنة وتجارة الرقيق، من تدمير الأساطيل المحلية التابعة للقبائل العربية في الضفة العربية من الخليج وفي جنوب ضفته الفارسية. وفرضت بعد ذلك على من اختارتهم من مشايخ المنطقة «اتفاقيات سلام» تولّت بموجبها تأمين الملاحة في الخليج والبحر العربي مقابل التزام المشايخ الموقعين بالامتناع عن أعمال القرصنة وتجارة الرقيق، وعدم الاتصال بدول أخرى دون موافقة الحكومة البريطانية. ولتأكيد ذلك الالتزام، فرضت بريطانيا على كلٍّ منهم أن يرفع رايات حمراء يتخللها بياضٌ على السفن التابعة له ولرعاياه.

بموجب «الاتفاقية العامة» في 1820 وما تلاها من اتفاقيات، تحوّل الخليج لأكثر من قرن ونصف القرن إلى بحيرة بريطانية. وأصبحت مشيخات المنطقة تابعة إدارياً لـ «الراج البريطاني» في الهند (في اللغة الهندية، كلمة «راج» تعني «الحُكْم»). فمن الهند كان يأتي المفوّضون السّياسيّون البريطانيون. ومن جهاز الهند الإداري كان يأتي الموظّفون الذين تولّوا إنشاء أولى أجهزة الإدارة الحكومية والمؤسسات العامة في البحرين وغيرها، بما فيها الجمارك والبنوك والصحة وحتى الشّرطة بزيها الهندي المميز. وإلى الهند يذهب الميسورون في الخليج للتّجارة أو العلم أو الاستشفاء. وقتها أيضاً فرضت بريطانيا أن تكون الروبِّية الهندية وحتى طوابعها البريدية هي عملة مشيخات الخليج العربي وطوابع بريدها (في 1958، سك البنك المركزي الهندي روبِّية خاصة ومميزة للتداول في الخليج بقيت سارية لعدة سنوات).

وفرّت الهيمنة البريطانية ما بين 1820 – 1971 حداً أدنى من الاستقرار الداخلي، ومنعت الغزوات المتبادَلة بين المشايخ ومهّدت لقيام ما يشبه «نظام ويستفاليا» إقليمي، شَرْعنَ سلطة كل شيخ تحميه بريطانيا ضمن حدود أراضيه. من جهة أخرى، وقفت القوة البريطانية حاجزاً ثابتاً أمام تمدد النفوذ الوهّابي أو الفارسي إلى المناطق الخاضعة لسلطة كلٍّ من أولئك المشايخ. كان كلّ شيخ في الخليج العربي يعرف أنّ سلطته مرهونة برضا ممثلي التاج البريطاني في المنطقة. ولم يكن أولئك يتوانون عن عزل شيخ وتنصيب آخر وحتى اعتقاله ونفيه إلى خارج المنطقة حين تبرزً الحاجة لذلك. ويمكن ملاحظة تأثير رعب المشايخ من جبروت ممثلي التّاج البريطاني في لغة الرسائل المتبادلة حينها بينهم.

ازدادت أهمية الخليج العربي تدريجياً مع اكتشاف النفط. فلم تعد أهمّيّة المنطقة تنحصرفي مجرد أنّها ممرٌ في الطريق إلى الهند وبقية المستعمرات البريطانية في آسيا. بل أصبح لها أهمية استراتيجية بذاتها. فبعد استقلال الهند وبقية المستعمرات البريطانية في آسيا، ازدادت حاجة بريطانيا للحفاظ على وجودها في المنطقة ولمنع تنامي تأثير حركة التحرر الوطني العربية بعد الثّورة الناصريّة في مصر. بل و ازداد التدخّل البريطاني المباشر في تسيير تفاصيل الأمور السياسية والاقتصادية والأمنية في بلدان الخليج (في عام 1956 تحركت القوّات العسكريّة البريطانية لمساندة الشرطة المحلّيّة في البحرين لقمع الحركة الوطنيّة، فاعتقل قادتها وحوكموا، ثمّ نُقل بعضهم على بارجة بريطانية إلى السجن في جزيرة سانت هيلانة، المستعمرة البريطانية). وحسبما تشير إليه دراسة الوثائق الرسمية البريطانية المفرَج عنها مؤخراً، كانت بريطانيا تتولى تعيين الضباط البريطانيين المسئولين عن الأمن الداخلي في البحرين وغيرها من مشيخات الخليج دون استشارة حكّامها. ومن بين هؤلاء الكولونيل أيان هندرسون، الذي استحق لقب «جزّار البحرين» بسبب ما قام به طيلة تولّيه قيادة جهاز الأمن والمخابرات في البلاد ما بين 1966 وبداية 2000.

الحاجة لتزوير التاريخ

حين يَدّعي حاكم البحرين أن الهيمنة الاستعمارية على بلاده كانت مجرّد صداقة، فإنّه لا يفعل ذلك بسبب جهله بتاريخها بل بسبب رغبته في إنكار دور عائلته في خدمة تلك الهيمنة. وسيردد الإعلام الرسمي الرواية الملكية وستروِّجها «الدراسات والندوات العلمية» التي تُعدّها مكاتب العلاقات العامة. إلاّ أن أحداً لن يصدقها. فأرشيف الوثائق الرسمية كما الذاكرة الشعبية يرويان تاريخاً آخر لنضالٍ طويل ضد الإستعمار وحلفائه.

سمعان خوام ـ سوريا

عبد الهادي خلف

أستاذ علم الاجتماع السياسي

في جامعة لوند ـ السويد، من البحرين

النجف كما رأيتها

إنّها الرابعة فجراً في مدينة النجف العراقية، الليل يستجمع ما تبقى من قواه، يناور في سحب ستار العتمة عن مشهد المدينة التي تستعد لاستقبال يوم صخب عادي، ومن خلفه، تنسل أول خيوط الضوء. يزحف متثاقلاً بين أضرحة «وادي السلام» في الجهة الشرقية للمدينة، صوب جهاتها الأخرى. يتلوى بين عقود المدينة النائمة، يطرق الأبواب، يتسلل من خلال الستائر، ينفجر صياحاً في حنجرة ديك أو رفّة جناحين، ويزعج نوم عمّال تكورت هياكلهم الصغيرة في ضيق «العربانة» (مركبهم).

في البيوت، حبوب الهال في بكارج القهوة، تتقاذفها فقاعات المياه المغلي، تلمع قطرة سكر انحدرت من صدر الدهينة الطازجة (نوع من الفطيرة)، والضوء مستمر بزحفه يصل بحماسة إلى حائط الحَضرة (مرقد الإمام علي)، ينير الصحن الذي تكومت فوق بلاطاته أجساد الزوار الفقراء، نياماً.

لحظات، وتتكاثف خيوط الضوء، تتحول إلى حزمات من الأشعة الساطعة، تتسلق ببطء الحائط الشرقي للمقام («الطارمة»). آثار الرصاص على الحائط ما زالت ماثلة للأعين، تذكاراً وتذكيراً بطغاة العصور الّذين مرّوا من هنا. ثم ترتقي لتضفي على القباب الذهبية لمعاناً إضافياً. بحذر، يلتصق بعضها بزجاج الشبابيك المتثائبة، ينعكس، يتكسّر، يتبعثر، فتلمع المقرنصات والمرايا، وتزهو ألوان القاشاني والفسيفساء الخراسانية والميازيب والتيجان والعناقيد المذهبة أعلى المرقد المهيب. تُفرد أسراب الحمام أجنحتها للهواء، تعبّ من أنفاس المدينة ملحاً وعلماً وحكمة وصبراً جميلاً، تهدل، تتقافز، تطير زرافات ووحدانا، وتبتعد ثم تهبط دفعة واحدة، كأنّ أحداً يناديها. حمام الحَضْرة صورة ناصعة عن النجف، فهو يتقن فن العيش مع الآخر، ومسايرة الغريب قبل القريب، وقيم التعارف الجميل ومشاركة حُبيبات الأرز والحنطة التي تقدمها أيدي الناذرين لشفاعة أو أمنية.

على مقربة من الحضرة، تنْفض الأسواق الغبش الصباحي عن أبوابها، تبدأ وتيرة أصوات الباعة المتجولين والمتسوّلين والـزوّار، بالارتفاع رويدا، وكذا الألوان والروائح والتوابل، ولا يلْتئم المشهد إلا بظهور بسطات الحلوى: الكليجة والطاتَلي والدهينة النجفية، ومنافساتها من السوهان الإيراني والتمر السعودي والبقلاوة التركية.. بدع «سكّرية» ظهرت بعد انهيار الدولة والاقتصاد العراقي. وتتفرع الأسواق إلى قيصريات، لكل منها حرفتها الخاصة.

شاب حنطي نحيف يرتب أكداس الكتب أمام محله، يمسح الغبار والعرق عن وجهه، ثم يبدأ بعرض الكتب: الكافي، بحار الأنـوار، رأس المـال، وعاظ السلاطين، القابنجي، شبستري، شريعتي، عزازيل، وروايـات مترجمة لهمينغواي وماركيز وديكنز وتولستوي وهوجو وغيرهم.. إلى جانبها، صورة مؤطرة للزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم وأخرى لمنتظَر الحلفي مبتسما، الشاب البصراوي الذي قضى شهيدا خلال التظاهرات وأصبح أيقونة للشباب العراقي الثائر.

لتدخل دكان العبايجي (صانع العباءة)، لا بد أن تخلع نعليك وكأنك في الوادي المقدس «طوى». يستقبلك كهل ممتلئ الجسم، كث الشوارب، فج التفاصيل، كثيف الهيبة، يقلب حجارة سبحته بيد، وباليد الأخرى يثبت «العكال» فوق الشماغ. وبغمزة من طرف عينه، يفهم مستخدَمه أن عليه جلب استكانة الشاي للضيف. على الرغم من اعتياد العبايجي على توافد الغرباء إلى المدينة، إلاّ أنه يولي كل من يطأ مجلسه اهتماماً خاصاً، فالزائر عنده ليس عابراً إنما من أهل البيت. ويعتبر كل زيارة فرصة جديدة للتفاخر بنسبه الهاشمي وعشيرته «التي كانت وما زالت تلعب دورا سياسياً مهماً في العراق». وحين يفرغ من الحكي عن أمجاده، ينبه ضيفه إلى أن «العشيرة لا ترضى إلا بإكرام الخُطّار (الضيوف) كما يجب»، فلا يترك له الخيار في الوداع ولا في إكمال الجولة، ولا في انتقاء الطعام الذي يريد، ويجبره على تلبية دعوته لتناول «جدر التمن والتشريب» (أرز ومرق) الذي يحبذ أكله باليدين، لأنّ «الخاشوكة» (الملّعقة) تنقص من قيمة مذاقه.

تعج المدينة بطلبة العلم (المعمَّمين)، المحافظين والتقدميين، ومعتنقي الأفكار العلمانية والإلحادية والشيوعية..

في أحد أركان سوق «الحويش» يجلس الإسكافي الحجي مصطفى على كرسيّه المدولب، السوق المفتوحة وغياب سياسة حماية المنتج الوطني، أضفيا على صنعته معاني أعمق من كونها مجرد مهنة ورثها عن أجداده. يشعل الحجي سيجارته، ويدس قلم الرصاص خلف أذنـه، ينحني، صوب الزبون، يفحص قدميه بدقة، يقارنهما بقوالب الخشب المصفوفة فوق الرفوف، يتمتم بكلمات غير مسموعة، يدون أرقاما على قصاصة الورق، ثم يفرش أصناف الجلد، يستعرض الموديلات التي يتقن صنعها ويعرضها على الزبون.

الحجي مصطفى يختصر المشهد السياسي العراقي وجدلية الأمـن والحرية بقوله: «عاشت بلادنا سني خير وحظوة. صحيح أنها كانت لقاء أثمان مكلفة، لكننا كنا نحس بقدر قليل من الكرامة الإنسانية. كنا ممنوعين من الكلام، مهددين بشكل دائم، ومراقَبين في كل تفاصيل حياتنا، أما اليوم، فالمنابر تعج بأفواج الخطباء دون خوف من تهديد أو مراقبة، لكننا بتنا محرومين من أدنى مقومات الحياة الكريمة».

لا تشبه النجف، أي مدينة عراقية أخرى، ولا تشبه أي مدينة دينية أخرى، لا في عمارتها الحجرية ولا البشرية. لا في جغرافيتها ولا في تاريخها. النجف كما كل نجفي، قابلة للقسمة على اثنين، اثنين نقيضين.

هي «مدينة العلم وعليٌ بابها»، تعج بطلبة العلم (المعمّمين) المحافظين والتقدميين ومعتنقي الأفكار العلمانية والإلحادية والشيوعية، وفيها مراجع دينية ويسارية وعلمانية، ومن شبابيكها تتسلل روائح الخمور واللهو، وتنتشر فيها الحسينيات واللطميات بالقدر ذاته الذي تنتشر فيه مجالس الموسيقى والغناء وحلقات الشعر والأدب والحانات المتنقلة والمستترة.

زرتُ النجف بعدما كنت قد أتخمت بالحكايا المتناقضة عن ناسها وتاريخها، وعشتُ كل تفاصيلها في ابتسامة وادعة، كانت تنير وجه جدي (السيد هاني فحص)، حين كان يحدثني عن شوقه الدائم للعودة إليها. زرتها متتبعاً أثره ما بين الحضرة والحوزة العلمية وبيوت المراجع والحلقات الأدبية وحي أبو خالد، وفي مذاق «القيمة» و«الفسنجون» اللتين تعدهما جدتي، وفي ذكريات أمي (التي ولدتْ هناك) وإخوتها، صبية حفاة يلعبون مع أترابهم في صحن الحضرة، ويَعدون الجنازات التي تطوف حول المقام قبل مواراتها في مقبرة وادي السلام.

للنجف مداخل كثيرة، ودروب مهما تفرعت وتشعبت تقود إلى قلبها وجوهرها وعلّة وجودها وبقائها، مرقد سيد الكلام والبلاغة. وحول مرقده، ترتفع البيوت والمـدارس ودور العلم والمكتبات ومنازل الضيافة، وتتزاحم الأسواق، وتستوي الطرقات بكل الاتجاهات، وتتكاثر النواحي والأحياء، وتنمو المدينة وتتسع، تحتضن المقيمين وتفتح ذراعيها للوافدين.

عاصم ترحيني

كاتب من لبنان يقيم في البصرة/العراق

حلّوا عنهم!

الصحافيون والصحافيات في فلسطين يتعرضون لضغوط شديدة واضطهاد، على يد الاحتلال الإسرائيلي بالطبع، وإنّما كذلك على يد كل من السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وحماس في غزة! لا جديد في المعلومة، وهي تتكرر في التقارير ذات الصلة بالشأن، سواء أصدرتها منظمات حقوقية عالمية أو لحظتها تحقيقات ودراسات حول الموضوع كائنة من كانت الجهات التي تجريها.. وآخرها تقرير صدر منذ أيام عن هيومن رايتس واتش.

تكفي أسباب سخيفة (حقاً!) لاعتقال الصحافيين أو الناشطين في مجالات حقوق الإنسان، كأن ينتقد أحدهم الحكومة في غزة لفشلها في حماية شخص يعاني من إعاقة عقلية، أو أن ينشر صحافي صورة لامرأة تبحث عن الطعام في حاويات القمامة، أو أن تقول صحافية إن سوء الممارسة الطبية في مستشفى عام هو سبب وفاة طفلة حديثة الولادة.. بينما من المعلوم أن القطاع ليس الجنة على الأرض، وأنّ الجوع والإهمال مستحكمان وكذلك شتى النواقص. ولعلّ القصد تفويت الفرصة على شماتة الأعداء (سواء إسرائيل أو السلطة، وخصوصاً هذه الأخيرة)، أو ممارسة الستر وعدم الانكشاف أمام الغرباء، أو الغيرة على معنويات الأمة والخشية من تهوينها.. وهي الحجج التي تعتد بها مختلف الأنظمة العربية عند قيامها بالاعتقالات وتوردها في التهم الموجهة للمعتقلين من مناضلين وباحثين، وتأخذ بها المحاكم.

أما في الضفة الغربية، فالسلطة الفلسطينية تتحسس من السخرية حتى لو مورست في قالب تمثيلي أو من خلال أغاني في حفلات موسيقية، وهي تكره كثيراً تهماً توجه إليها من قبيل التعاون مع إسرائيل أو الفساد.. فتكون الحصيلة اعتقالات وتعذيب («لايت» والحق يقال، مثل الحرمان من النوم أو الضرب أو الرش بالماء الساخن ثم البارد.. لا شيء مما يَقتل، والحمد لله)، علماً أن السلطة وبما أنها «دولة» ومعترف بها على نطاق واسع وعضو ولو مُراقِب في الأمم المتحدة، وموقِعة على الاتفاقيات الدولية المناهضة للتعذيب وسواها.. أي أنها «محترمة» وتعرف «تقنيات» الأصول، فهي ترفض الإجابة على تلك المزاعم بلا «شكوى رسمية»!

ألا تكفي الناس في فلسطين عذاباتهم؟ ألا يكفيهم الاحتلال الاسرائيلي؟ حلّوا عنهم!

نهلة الشهال

العربي السفير

أول أيلول 2016 - العدد 13455
Thursday September 1st, 2016

متابعات

3 أضعاف هي الزيادة المتوقعة على فواتير الكهرباء للمصريين بعد بدء العمل بالتسعيرة الجديدة لوزارة الكهرباء، التي تشمل أيضاً ضريبة خدمية تتراوح من 1 إلى 20 جنيهاً، وأما معدل استهلاك الكهرباء فيتراوح بين 50 و500 كيلوواط ساعي في المنازل المصرية.

الدراما العربية تكرّس وضعية دُنيا للمرأة

تانيا الكيالي - سوريا

خلال شهر تموز/ يوليو الماضي، نشر «المجلس القومي للمرأة» في مصر تقريره عن «صورة المرأة في دراما رمضان 2016». تناول التقرير 28 مسلسلًا اختيرت من بين الأكثر عرضاً على الشاشات، وتَضمّن انتقادات حادة لها كونها قدمت صورة شديدة السلبية للمرأة واحتوت على العديد من المظاهر السّلبية التي لها انعكاساتها الخطيرة على المجتمع. وهي انتقادات باتت تتكرر كل موسم.

وفقاً للتقرير، بلغ عدد المشاهد التي تعرضت فيها المرأة للعنف المادي أو المعنوي أو كليهما، 1607 مشهد، مورس معظمه من قبل رجال على رأسهم الـزوج. وقد ظهرت المـرأة كثيراً في أدوار الراقصة، فتاة الليل، الزوجة الخائنة، المطلقة التي تخطف الزوج من زوجته، المرأة العاملة غير الناجحة في حياتها الأسرية، الأم التي لا تربي أبناءها بشكل سليم. وكثرت مشاهد العري والإثارة واستخدام الشتائم والألفاظ غير اللائقة التي تهين المرأة، إذ لوحظ كثرة السِّباب بالأم. كما الترويج لفكرة الاهتمام بالمظهر الخارجي للمرأة دون الاهتمام بالجوهر، وعرض العلاقات غير الشرعية على أنها أمر طبيعي ومقبول، إلى الحد الذي يخلق حالة من التعاطف مع خيانة المرأة لزوجها على سبيل المثال، مما يشجع العديد من النساء اللاتي يتعرضن لإهمال أزواجهن لاتخاذه مبرراً للخيانة الزوجية. والتركيز على حياة الطبقات الثرية من خلال المنازل الفارهة والسيارات والمجوهرات، مع تهميش الطبقة الوسطى. وكذلك المبالغة في مشاهد تناول الخمور والمخدرات والتدخين للرجال والنساء ولعب القمار. وإلغاء فكرة وجود قيم وأخلاق تحكم العلاقات بين الناس، والترويج لفكرة عدم أهمية الترابط الأسري بالتركيز دائما على الصراعات المستمرة داخل الأسرة.

تدهور عام

المخرجة إنعام محمد علي صاحبة «هي والمستحيل» و«ضمير أبلة حكمت» و«قاسم أمين» و«مباراة زوجية» وغيرها، تتحدث عن تدهور صورة المرأة في الدراما في إطار تدهور عام للدراما وسيادة المنطق التجاري الذي يلهث وراء الإثارة وما يجذب الجمهور، وسيطرة الإعلان على الإعلام بينما تغيب القضية والرؤية إلا في القليل النادر. تقول: للتليفزيون خصوصية، فهو يحظى بنسب مشاهدة عالية، وهو يخاطب الأسرة في المقام الأول، ويعرض فيه العمل يومياً، ومن ثم يكون هناك إلحاح على الفكرة التي تقدم، وله دور خطير في المجتمعات النامية حيث نسبة الأمية مرتفعة، ويأخذ المتلقي ما يعرضه على أنه أمر مسلم به. لكل هذا، هناك معايير وقيم تحكم التليفزيون تختلف عن تلك التي تحكم السينما.

وتصف الواقع الحالي للدراما: صرنا نرى في الأعمال الدرامية إبهاراً على مستوى الصورة، وهذا له أهميته. وهناك أيضا مخرجون جيدون وممثلون يؤدون أدوارهم بصورة جيدة، لكن المشكلة تكمن في ضعف النص. هناك فقر واضح في الأفكار يتضح من خلال الاعتماد على أفكار مكررة منقولة عن أعمال أخرى عربية أو أجنبية، أمريكية وتركية خصوصا، دون أن يكون هناك تناول لمشكلات نابعة من مجتمعاتنا، ومن ثم تكون النتيجة «جعجعة بلا طحن». وفي أحيان كثيرة يكون الاعتماد الأساسي على «النجم» أو الممثل الذي يقوم بدور البطولة فيقتصر دور المؤلف على «تفصيل» الدور الذي يريده هذا النجم.

وتتساءل: هل الهدف تكريس الواقع أم تغييره؟ الدراما والفن عموما ليست فوتوغرافيا للواقع بل اختيار من الواقع يتم وفق رؤية وبهدف الارتقاء بالذوق العام، وليس العكس. حالياً للدراما أثر سلبي جداً على عقول المتلقين وسلوكياتهم، لأن هناك مبالغة في إظهار القبح والسوء والسوقية، وتركيز على نماذج سلبية دون أن يكون هناك معادل موضوعي لها، بتقديم النموذج الإيجابي إلى جانب السلبي. كان يقال دائما «الدراما بطلها الإنسان العادي»، لكن الدراما الآن تركز على الخروج عن المألوف وتقديم شخصيات استثنائية لا يجد فيها المتلقي نفسه أو مشكلاته الحقيقية مجسدة على الشاشة.

«الزمن الجميل» في قفص الاتهام

هل المشكلة تكمن فقط في الأعمال التي أنتجت في «سنوات التدهور»؟ هل كانت الدراما قبل ذلك تقدم صورة إيجابية للمرأة؟ على الرغم من أن مسلسلات الثمانينات والتسعينات كانت تتسم بقدر كبير من «المحافظة» مقارنة بنظيرتها التي تقدم الآن، إلا أن هذا لا يعني أنها كانت تقدم صورة إيجابية للمرأة. تحضر هنا دراسة الباحثة زغلولة السالم التي صدرت في عمّان بعنوان «صـورة المـرأة العربية في الدراما المتلفزة»، وهي في الأصل رسالتها للماجستير من الجامعة الأردنية عام 1996. تناولت عينة من الأعمال الدرامية العربية التي عرضها التليفزيون الأردني على مدار الفترة من 1992 إلى 1994، وبلغ عددها 32 عملًا تنوعت بين مصرية (15) وأردنية (10) وسورية (8)، حيث قامت بتحليل مضمون 187 شخصية نسائية من شخصيات هذه الأعمال، لمعرفة أبعاد الصورة التي تقدمها للمرأة على مستويات عدة، نفسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية. وعلى الرغم من خلو العينة المصرية مثلًا من أعمال أنتجت خلال هذه الفترة ونالت جماهيرية كبيرة وصارت علامة مميزة لها، لأن معيار الباحثة في الاختيار كان مختلفاً، إلّا أنّ النتائج تبقى مهمة وكاشفة، لاسيما أنها لم تقتصر على جنسية عربية بعينها.

في مسلسلات رمضان لهذا العام، أحصيت 1607 مشاهد تعرّضت فيها المـرأة للـعـنـف المـادي أو المعـنـوي أو لكلـيـهـمـا..

بالتحليل الكمي والنوعي للبيانات، تؤكد الباحثة أنّ صورة المرأة جاءت متأخرة عن الواقع الحقيقي لها في المجتمع العربي (فضلا عن أن تقدم نماذج يمكن تبنيها ومحاكاتها لتغيير هذا الواقع للأفضل).

فعلى المستوى التعليمي، جاءت أعلى نسبة من الشخصيات للمرأة الأمية (36.9 في المئة). وإذا أضفنا إلى هذه النسبة - كما تشير الباحثة ــ نسبة «غير واضح» (14.4 في المئة)، أي عدم قيام الشخصيات بأيّ نشاط يدل على أنها مثقفة أو متعلمة، تصبح النسبة أكثر من النصف. وعلى مستوى النشاطات الاجتماعية والثقافية (كالمشاركة في الأعمال التطوعية أو الانتساب للجمعيات الاجتماعية أو ممارسة أنشطة فنية ..إلخ) جاءت نسبة الشخصيات التي لا تمارس أية أنشطة أكثر من 88 في المئة، وبلغ عدد الشخصيات التي لديها ميل للعلوم والفلسفة «صـفـراً» في كل الأعمال. وانحصرت نـشـاطـات الشخصيات حول موضوعين رئيسيين: النشاط المنزلي والعناية بأمور الأسرة حتى لو كانت موظفة أو عاملة، والعناية الفائقة باللابس والماكياج وتصفيف الشعر.

وتمثلت الأهداف التي كانت تسعى إليها الشخصيات في العثور على زوج، إرضاء الزوج والاحتفاظ به وإسعاد وإرضاء أفراد الأسرة، المهارة في الإدارة المنزلية، الغنى المادي. وكانت صورة المرأة المُضحّية من أبرز الصور، فالتضحية مطلوبة من المرأة في أية بيئة وفي أي طبقة اجتماعية وفي أي فئة عمرية، سواء براحتها النفسية أو الجسمية، أم بالعمل خارج المنزل، أم بأموال تمتلكها، أم بالتوقف عن التعليم. وتقاس مثالية المرأة وكمالها في هذه الأعمال بمدى تضحيتها ونكرانها لذاتها.

الصورة المقدمة

كانت غالبية الزوجات ربات بيوت في مختلف الطبقات الاجتماعية. وحين تصر الـزوجـة على العمل تصور على أنها عاجزة وغير قـادرة على أن توفق بين بيتها وعملها. والزوجة الصالحة هي التي تجعل شخصيتها وطموحاتها ثانوية. فالحل الـذي تطرحه الدراما العربية، كما تقول الباحثة، لمشكلة المرأة التي تقوم بدور مزدوج هو إما الطلاق أو التفرغ للبيت والزوج والأولاد. والفتيات الجامعيات يذهبن إلى الجامعة للبحث عن عريس، والبنت في الجامعة تعيش في دوّامة إشباع الجانب العاطفي من حياتها، دون أن نعرف شيئا عما فعلته في الدراسة والبحث والتحصيل العلمي. وكان عدد مرات استخدام كلمة «حرمة» لا حصر له. ومن القيم التي تم التأكيد عليها في هذه الأعمال بالنسبة للمرأة: التضحية والطاعة والصبر على الظروف مهما كانت سيئة، وضرورة الارتباط برجل، فمكانة المرأة من مكانة زوجها ولا قيمة لها بدون ارتباطها برجل. وكانت العلاقة بين المرأة والرجل غير متكافئة، فهي ليست علاقة الند للند، بل إن المرأة تلتزم بالإطار الذي يحدده لها الرجل، فهي دائما مقهورة ومغلوبة على أمرها.

أمّا على المستوى النفسي الاجتماعي فنجدها مذعنة وخاضعة، ليس لها كيان مستقل بنفسها وإنما تستمد هويتها من الرجل أباً وزوجاً وأخاً. وهي تفتقر إلى الانضباط العاطفي في سلوكها فعواطفها هي التي تتحكم فيها، وتفتقر إلى العقلية العلمية وتنقصها القدرة الذهنية والعقلية في مجال الفكر والمعرفة. كما أنّها سلبية في مواجهة مشكلاتها اليومية. وهي تابعة للرجل اقتصاديا، وبدونه لا تستطيع إعالة نفسها. كما أنّها عاجزة عن إدارة المشاريع الاقتصادية أو إدارة أملاكها بنفسها. وهي تركز اهتمامها على المجال الخاص والمجال المنزلي ولا تكترث بمشكلات المجتمع. وتستثني الباحثة دراما «آن الأوان» تأليف الكاتبة سكينة فؤاد، فهي «الوحيدة بين العينة الكلية للبحث التي طرحت قضايا الرجال والنساء سواء بسواء، وتقترح العلم والعمل كطريقة للخروج من حالة التخلف التي يعيشها المجتمع العربي، ولن يكون هذا ممكنا دون المشاركة الحقيقية والفعالة للمرأة».

صورة المرأة في هذه المسلسلات متأخرة عـن الواقـع الحقـيـقي لهـا فـي المجـتـمـع العـربـي

ما الحل؟

تأتي الدراما التي تقدم صوراً إيجابية للنساء وتسعى لتحسين أوضاعهن في المجتمع إذاً على سبيل «الاستثناء». فكيف يمكن تحويل هذا الاستثناء إلى حالة عامة؟ وكيف يمكن إيجاد دراما بديلة تدفع للأمام بدلا من أن تؤدي إلى المزيد من التخلف؟ سؤال جدير بالنقاش والطرح الدائم إذ «لا يمكننا إحـداث تغييرات إيجابية في سلوك المجتمع نحو المرأة دون أن تدعم الدراما ذلك» كما أكدت د. مايا مرسي رئيسة المجلس القومي للمرأة أثناء المؤتمر الصحافي الذي أعلنت فيه نتائج التقرير.

كثيرون يطالبون بعودة دور الدولة في الإنتاج الدرامي، ولكن هذا ليس حلا سحرياً كما يبدو للبعض، فالعقلية التجارية والرغبة في تحقيق الربح يمكن أن تسيطر على قطاعات الإنتاج الحكومي أيضاً، والتي تعاني من مشكلات مالية وإدارية، في عصر تحول الدراما إلى «سوق» تنفق فيه الملايين (بلغت ميزانية إنتاج مسلسلات رمضان هذا العام أكثر من 2.5 مليار جنيه، 70 في المئة منها لأجور النجوم)، كما أن المسلسلات التي أنتجت في عصر سيادة الإنتاج الحكومي - مما تناولته الدراسة المذكورة آنفا - قدمت أيضا صورة سلبية للمرأة. ويكفي أن نعرف أن مسلسل «الحاج متولي» كان من إنتاج قطاع الإنتاج بالتليفزيون المصري عام 2001.

تعوّل كوثر الخولي، المسئولة بإحدى جمعيات المرأة، على الدور المجتمعي الذي بات يمثل أداة ضغط ووسيلة لنشر الوعي، من خلال المنظمات أو حتى المبادرات الفردية التي باتت نشطة على الفيسبوك للتصدي لأي إسفاف أو ابتذال، وترى أنه يمكن تحقيق تحسن ملموس في صورة المرأة في الدراما من خلال مبادرة المجتمع المدني لفتح حوار مع القائمين على صناعة الدراما، من كتّاب ومخرجين وغيرهم، عبر جلسات أو ورش عمل مشتركة للتوصل إلى «مدونة سلوك» تتضمن معايير لمنع أي انتهاك أو تشويه للمرأة على الشاشة. ولكن إلى أي مدى يمكن أن يستجيب صناع الدراما لمبادرات كهذه؟ وإلى أي درجة سيكون الالتزام بما سيسفر عنه الحوار؟ وهل سيظل الأمر في حدود «الاستثناء»، أم يمكن بالفعل من خلال ذلك خلق «اتجاه» مناهض لأي تأثير سلبي للدراما على مكانة المرأة في المجتمع؟

منى علاّم

كاتبة وصحافية من مصر

رياضة «قلْب السترة»: نموذج من مصر

مالت الوجوه ألف مرّة ومرّة خلال سنوات قليلة، منذ قيام ثورة «يناير 2011». استدار البعض موجّهاً ظهره نحو أفكار تبنّاها منذ عقود، كما تخلّى الكثيرون عمّا اعتنقوا، ثم عادوا ثم تخلّوا.. طبقاً للظرف. ولعلّ الصراع السياسي الممتدّ خلال السنوات الأخيرة لم يترك للزيف مكاناً يستتر به، فأصبح التلوّن علنياً دون أن يتكبّد صاحبه ذلك العناء الإضافي عند كل موقف عمليّ مغاير لطبيعة الفكر المُعلن. ظهر «التنويريّون» الجدد وسطع نجمهم في مصر كمتصدّين لحكم الإخوان المسلمين والسلطة الدينية والحسبة ومحاكم التفتيش الجديدة، بالتزامن مع تعملق الدور السياسي للجماعات الإسلامية وتحديداً منذ عام 2012، وبموازاة الوصول الرسمي لجماعة الإخوان للحكم. وهنا بدأت حملات غير منظمة من عدد من المفكرين والكتاب والصحافيين لمهاجمة وتفنيد الفكر المحتكر للدين والأخلاق، والمتطلّع للسيطرة على الحياة الفنّيّة والأدبية بعد الحياة السياسية، وكان من أبرز تلك الأسماء السيد حلمي النمنم، رئيس دار الوثائق السابق، ووزير الثقافة الحالي، و«الكاتب والمفكر التنويري المؤقت»، كما لقّبه عدد من المثقفين المصريين.

ففي عام 2012، صدر عن الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان والتي يرأسها الناشط الحقوقي «جمال عيد» كتاب «الحسبة وحرية التعبير» لمؤلفه حلمي النمنم، يستدل من خلاله على عدم وجود تأصيل وجذر حقيقي لمسألة تغوّل الحسبة والرقابة على حقوق المؤلّف والمفكّر في التعبير عن فكره وتقديم إبداعه، لحسابات دينية وأخلاقية تصادر حريّة طرح الرؤية وعرض الإبداع. وقد تناول الكتاب الخط التاريخي لتطور منطق الرقابة من شأن تجاري خاص بسوق الأدب إلى التدخل المباشر في المحتوى، ونقد تلك الفكرة موضحاً موقفه برفض كل أشكال الرقابة على الفكر والإبداع، وهو الأمر الذي اختلف تماماً بعد وصول النمنم إلى الكرسي الوزاري بديوان عام وزارة الثقافة. فقد تمّ في عهده ما لم يحدث في ظل حكم الإخوان ذاتهم في قضيتين هما الأشهر والأبرز والأكثر مباشرة في شأن حرية الفكر والإبداع.

ففي عهد النمنم، تمت محاكمة الباحث المصري «إسلام البحيري» بتهمة ازدراء الأديان، كما تمّ تأييد الحكم نهائياً ليقضي البحيري عقوبته كاملة دون أي تدخل من الوزير الذي كان تنويرياً منذ أربع سنوات فقط، والذي اقتطع من وقته الثمين كي يؤلف كتاباً كاملًا بهذا الشأن تحديداً، ويصدره عن مؤسسة مجتمع مدني من تلك المؤسسات التي تلاحقها الحكومة التي أصبح جزءً منها الآن.

قبل «الحسبة وحرية التعبير» بعام واحد، وحينما كان وصول الإخوان المسلمين إلى الحكم هو أقوى الاحتمالات، خاصة بعد تقاربهم الكبير مع السلطة الانتقالية آنذاك، سنجد أن الإلهام الذي هبط على العقل التنويري لدى النمنم كان قد أوحى له بأن يصدر كتاباً بعنوان «حسن البنّا الذي لا يعرفه أحد». وفي هذا الكتاب، ومع التلويح بوصول الإخوان إلى الحكم بالتوافق التام مع السُلطة وقتها، قرر المؤلف أن يبرز ما أسماه بالوجه الآخر لمؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وأن يتناول سيرته من منطلق إنساني حيادي، متجاهلًا دور البنا في التكريس لفكر الجماعة المحتكرة للدين والأخلاق كما كان يردد دائماً. وهو أمر عجيب من شخص قدّم نفسه كأحد المنقذين من سيطرة الرجعية على الشأن السياسي والاجتماعي والأدبي.

وبالمرور السريع على سيرة الرجل، سنجد أن مؤلفاته وتصريحاته السابقة مباشرة لامتطاء جواد الصفة الرسمية لإدارة الشأن الثقافي بالبلاد، كانت تحوم حول دور الأزهر في الرقابة على المجتمع وتدخله كجهة دينية في شؤون الثقافة والعلم، مع بعض التأصيل التاريخي للنماذج التنويرية كالإمام محمد عبده. الأمر الذي أهمله بعدما أصبح وزيراً للثقافة في قضايا البحيري وأحمد ناجي على سبيل المثال، حينما أصبح متواطئاً كممثل للدولة في الشأن الثقافي، مناقضاً لكافة الأفكار التي كان يقدّم نفسه وفكره من خلالها.

وحين عبّر الكاتب السعودي جمال خاشقجي مرة في برنامج تلفزيوني عن استيائه من قرار تكليف النمنم بوزارة الثقافة، بسبب هجومه المستمر على الفكر الوهابي و«تطاوله» - على حد تعبيره - على المذهب الديني للمملكة السعودية التي اتهمها بنشر الرجعية والردّة الحضارية في مصر والبلاد العربية الأخرى، أجرى الوزير مداخلة هاتفية في البرنامج («العاشرة مساءً») معترضاً على التدخل في الشأن المصري من طرف النظام السعودي على لسان أحد المقرّبين من العائلة الحاكمة، مضيفاً أنّ صميم اعتراضه هو نيل الفكر الوهابي من الثقافة المصرية، وأنه لم يتطرق للشأن الداخلي في المملكة، ويرفض كل أشكال التدخل السعودي في الشؤون المصرية. هذا الأمر تبعه في العام التالي عليه، تأييد النمنم لضم الجزر المصرية «تيران وصنافير» إلى الحدود السعودية وإعلان عزمه على نشر كتاب يصدر عن الوزارة يُبرز من خلاله أحقية المملكة في الأرض المصرية. الخبر نشرته جريدة الأهرام.. وكأنه شخص آخر ذاك الذي كان يتحدث عن الاستقلال الوطني والرفض التام لتدخل السعودية في شأن بلاده، بينما يرحب بسعة صدر باستيلاء المملكة تلك نفسها على جزء من تراب الوطن.

ذلك «الاضطراب» كان محيّراً وصادماً، وأثار سخرية الجميع. يتصوّر المرء أنه يتعامل مع شخصين منفصلين ــ وربما أكثر ــ يود كل منهما أن يتسلّق اللحظة للخروج منها بأكبر المكاسب.. ولا يملك من يراقب الموقف سوى الدعاء للشأن العام المصري وللقائمين عليه بالشفاء العاجل.

مايكل عادل

باحث من مصر

العربي السفير

قضية

6.6 مليار برميل من النفط و2.13 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي كميات الاحتياطي المتوفرة في حوض المتوسط التي تسعى إسرائيل للحصول على ترخيص جديد للتنقيب عنها!

الأشرفية.. في حلب

هي هضبة خارج مدينة حلب القديمة، كما خارج توسّعها المُطَرّد الذي بدأت بواكيره في منتصف القرن التاسع عشر، مما يحيل نشوءها إلى منظومة الضواحي المدينية الطارئة. تقع إلى الجهة الشمالية الغربية للمدينة، حملت ببدايتها اسم «الداوودية»، كإحالة افتراضية إلى اسم الوالي العثماني – الأرمني داوود باشا، الذي حكم لمدة متصرفية جبل لبنان. وكانت من الأماكن التي توطّنت فيها أقسام من قوافل المهجرين الأرمن، الناجين من حرب الإبادة عام 1915. اختار الضباط الألمان، في المرحلة السابقة على الحرب العالمية الأولى موقعاً مرتفعاً إلى غربها، ليشيدوا فوقه ثكنة عسكرية عرفت شعبياً باسم «قشلة الألمان»، وتحوّل اسمها في زمن لاحق إلى ثكنة «طارق بن زياد».

حملت هذه الضاحية الشعبية لزمن غير قصير، هوية اليسار الأرمني الذي أطلق على الحي اسم «البولشفيك داغ»، أي جبل البلاشفة، وطالما تزيّن بالرايات الحمر، كشكل شعبي عبّر عنه هذا الانتماء السياسي، بالآمال الواسعة التي فتحها أمام الشعوب المضطهَدة، قبل أن يقرر العديد من سكانها في أواخر الخمسينيات وبدايات الستينيات، التهيؤ لهجرة اختيارية جديدة باتجاه أرمينيا السوفياتية، أو الانتقال إلى أحياء مُخدّمة ومنظمة وقريبة من مركز المدينة.. بمرور السنوات زالت آثار حضور هؤلاء من الشوارع.. كنائس غير باذخة، دور أيتام، مدارس إلخ.. جرى بيعها بالتتابع وشُيّدت مكانهم عمارات، وبقيت بضعة بيوت متقشفة ومعمل كبير لحياكة الأقمشة وصباغتها لصاحبيه برصوميان ـ كردويان، أُمِّم في الستينيات، وتوقف عن العمل في ما بعد.

دير ومدرسة «الآباء المخيتاريان» بقي رابضاً في مكانه، ومستمراً في أداء وظائفه التعليمية والتربوية، في أول الطريق الصاعد إلى الحي – الهضبة، مسوّراً بحجارة نافرة، منفتحاً على غابة صنوبر داخلية وفسحات للملاعب والحدائق وأنشطة التلاميذ.

كان الوصول إلى هذا الحي مضنياً، وما من طريق إليه سوى ذاك الذي يعبر من تحت جسر بساتين «الشيخ طه» الذي أنشأته القوات الألمانية في أوائل القرن العشرين لمدّ سكة حديد القطار المتّجه نحو الشمال، أو طريق «حول المدينة» الذي أنشأته البلدية في عهد الانتداب الفرنسي في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، قبل أن يُفتح «نفق تشرين» في أواسط الثمانينيات الذي وصل حي «محطة بغداد» بالحي المستحدث في الفراغ العمراني بين هضبة الأشرفية وأحياء المدينة، والذي حمل اسم «السريان الجديدة» تمييزاً عن حي «براكات السريان» الرازح فوق هضبة أخرى أقل ارتفاعاً، حملت اسم المهجّرين السريان من مدينة «أورفة» وبلداتها.

سكنَتْ في هذا الخلاء بين الأحياء لعقود عدة جماعات من القرباط، متنقلة بخيامها متبوعة بكلابها قبل أن يستردّ أرضها ملاك العقارات في حي السريان الجديد، ويُدفع بها إلى حي توسع طرفي آخر.. يمكن اعتبار هذه الأحياء الجديدة التي امتدت على أطراف مدينة حلب من ثمار الشرق العربي ما بعد الحرب العالمية الأولى، بإباداتها الجماعية وتهجيرها القسري وانهيار الإمبراطورية العثمانية واقتسامها والوعود الكاذبة للإمبريالية البريطانية قبل الإعداد للثورة العربية، ومن ثم اقتطاعاتها للجغرافيا وإعادة ترسيمها واقتسامها مع الإمبريالية الفرنسية والجمهورية التركية، واقتلاعهم جميعاً للشعوب.

استقطب الحي في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين، بدايات الهجرات من قرى الريف الشمالي، العربية والكردية، ومن أحياء حلب القديمة، حيث وجد البعض أعمالاً لهم في مصانع الغزل والنسيج ومحالج القطن ومصابغ الأقمشة ومقاشر الأرز التي بدأت تنتشر في منطقة «الليرمون» الصناعية القريبة منه.

***

«كان ماركو بولو يصفُ أحد الجسور، حجراً حجراً، فسأله قبلاي خان:

ـ ولكن، إلى أي من هذه الحجارة يستند الجسر؟

ـ الجسر لا يستند إلى هذا الحجر أو ذاك، بل إلى القوس الذي تصنعه الحجارة.

بقي قبلاي خان صامتاً، مفكراً، ثم أضاف:

ـ لماذا تحدثني عن الحجارة؟ القوس هو ما يهمّني.

ـ دون الحجارة لا وجود للقوس». («المدن المتخيّلة»، ايتالو كالفينو).

لا يستغرق الوصول إلى الأشرفية في هذه الأيام زمناً طويلاً. الشوارع غير مزدحمة، لكن تبقى الحواجز العسكرية التي يتوجب التمهل قبل الوصول إليها والتوقف عندها، كما الالتزام بما تطلبه، من تقديم البطاقات الشخصية وفتح مخزن السيارة، كما الالتزام بجهة السير التي تحدّدها.

الأعلام التي ترفرف في الأمكنة العالية، تشير إلى القوّة المسيطرة تحتها: علم الجمهورية العربية السورية في الدوار الأول والدوار الثاني بمحاذاة جامع السيد أحمد البدوي وكراج عفرين والمنحدر المؤدي إلى مشفى شيحان وثكنة الهلب بن صفرة، بينما يبدأ حضور علم حزب العمال الكردستاني بمحاذاة جامع صلاح الدين الأيوبي بالاتجاه المؤدي إلى عمق العشوائيات والسكن الشبابي. تعود بعض العائلات إلى بيوتها، تعمل على تنظيفها بإقرارها الضمني لقبول حالة السكن الواقعي، كأن تعيش في البيت الذي خسر إحدى غرفه، أو شرفته وعموم أثاثه.. لا بأس، هو خير من السكن في الأقبية، ومن دفع إيجارات تتصاعد مع صعود صرف الدولار ولا تنخفض بانخفاضه.

تمام عزّام ـ سوريا

لا يمكن رصد التحولات في «المزاج الأيديولوجي»، لأن هذا يتطلب حواراً من الصعوبة الخوض فيه، والجميع يقولون كلاماً ويخفون كلاماً بمقداره، ربما لأنهم يفتقدون للحسّ المشترك الذي تدعمه الطمأنينة والثقة المتبادلة، وحرية الكلام التي لا تستوجب عقوبة مؤجلة.. أو عاجلة.

ـ هل من قنص؟

ـ لا.. يمكن السير بأمان، أمسى القناصة على مسافات بعيدة من هنا، لكن انتبهوا للألغام وللقذائف التي لم تنفجر.. ولا تتجاهلوا العبور من أمام الحواجز لتحيّتها وطلب الإذن وطرح الاستفسارات عن المحظورات والطرقات الآمنة.

المتاريس عالية، تحتاج جهداً لصعودها، صنعتها الجرافات الآلية بتدبير هندسي لتقطيع الشوارع العريضة، وإغلاق كلي للأزقة الفرعية، استخدمت لذلك تلالاً من أتربة ردميات العمارات المنهارة.

ـ انتبهوا، التصوير ممنوع! أتى الصوت من داخل دكّان مغلق. رآهم من أطلقه من ثقوب «درابية» الحديد، في حين أصوات المطارق، صاعدة هابطة من جوف الدكان.

ـ لا أحد يصوّر، ردّ الرجل المرافق على الصوت بصوت عال، وتابع بصوت خفيض: هؤلاء شبيحة يكملون سرقاتهم للدكاكين.. لا بد من عبور «الطلاقات» للانتقال من شارع إلى شارع. و «الطلاقات» فتحات بين الدكاكين، عبر منها المقاتلون وسيارتهم دون أن يراهم مقاتلو الطرف الآخر، أو الطيران. مئات القذائف المصنوعة من أسطوانات الغاز والأوكسجين التي لم تنفجر بتمام قوتها، مجمّعة في الدكاكين.. أرتال من «مدافع جهنم» وهي من الإضافات العقابية المستحدثة التي فات ذكرها في «آداب الجحيم» الذي أنتجه الخيال القيامي – العقابي في العصور الوسطى. الأبنية المائلة على بعضها، الشرفات المتلاصقة بأرضها، آثار الحرائق في الشوارع.. كلها بعد الدوار الثاني. خراب أفران الكعك والحلويات، ومحال من كل صنف. عيادات الأطباء، مكاتب المحامين، المستوصف الحكومي، المدارس، المساكن..

ـ هل سيُعاد ترميم الحي؟ سؤال يضمر آمالاً معقودة على استرداد البيوت، بما حملته من سنوات التعب والحرمان لادخار النقود، ومجازفات تضع حداً للعلاقة بقرى وبلدات مسقط الرأس، تبدأ ببيع بضعة أشجار زيتون واقتطاعات من الأراضي الزراعية، وتنتهي ببيع ما تبقى، وإنجاز القطيعة التامة مع الريف.

ـ هدمه وإعادة إنشائه أقل كلفة من ترميمه.. لا يمكن تقديم الإجابة الحقيقية، لما سيسبّبه هذا الجواب من إحباط نفسي ووجداني لمن قرّروا العيش على الوعود والآمال.. سيرمّم ببطء، وقد يطول زمن الترميم، لأن في المدنية أحياء كثيرة حملت مصائر هذا الحي.

يتكاثر ذكر البلاد الأوروبية حين الاستفسار عن عائلة ما.. هذه في ألمانيا وتلك في السويد... وهؤلاء غادروا من العام الأول إلى بلجيكا.. وآخرون استقروا في الضيعة ولن يعودوا إلى هنا بعد أن شيّدوا أبنية وأعادوا إحياء أراضيهم.

***

أوجدت الانتفاضة الشعبية الكردية 2004، ندوباً في العلاقات بين سكان الحي (العرب والأكراد)، اندرجت بين التوجس الحذر وعدم الموثوقية المتبادلة، وهي أخفض من مسلكيّات أخرى أكثر حدّة وعنف برزت في حي «الشيخ مقصود» ذي الملامح الكردية أيضاً، وهذه آثار كان يمكن تجاوزها بحلول سياسية تقف على فهم قضية الشعب الكردي، وبالحوار مع الجماعات السياسية التي تحملها.

توسّعت مشاريع خدمية كبرى ومتوسطة كاستثمار للرأسمال الخاص، في رغبة لخدمة الوافدين من الأرياف الكردية في حي تتكامل خدماته: مشاف، محال بيع المصوغات الذهبية والألبسة و «جهازات» العرائس والأدوات المنزلية والكهربائية والمطاعم، كراج حافلات خاص بقرى المناطق الكردية (عفرين وعين العرب)، إطلاق أسماء الشوارع التجارية المعروفة في المدينة على شوارع في الأشرفية: شارع التلل وشارع العزيزية كناية عن أنه بات عندنا «التلل» و «العزيزية» خاصتنا.. ترافق ذلك مع التأكيد على الهوية القومية بإطلاق الأسماء الكردية على الأماكن الاستثمارية التي تعود للأكراد.

برزت مظاهر ملموسة للنمو الاقتصادي بعد الاحتلال الأميركي للعراق. وبحيّ الأشرفية ظهرت حالة غريبة عن العمل السياسي السوري بالمطلق: رفع العلم الأميركي في تظاهرة متواضعة ومحدودة الأثر، (في 2003). تدفق التجار من إقليم كردستان الذي حافظ على استقراره، ووفرت قيادته الأمان وشروط الاستثمار وشركات نقل البضائع وتأمينات التخزين والمصارف وشركات تحويل الأموال، حيث باتت البضائع ترسل إلى العراق عن طريق وسطاء الإقليم الكردستاني.. مما قوّى الورشات الصغيرة والمتوسطة العائدة لأصحابها من الأكراد، وانعكس على أسعار العقارات بشكل ملموس، فلم يعد القطاع من الحي الممتد من دواره الأول حتى دواره الثاني، مكاناً مناسباً لسكن فئات شعبية جديدة، فأسعار البيوت والمحال التجارية، تماثل أسعار البيوت في الأحياء الفخمة.

تحوّلات تشير إلى تنامي بورجوازية بهويّة كردية، تعي مصالحها لمقاربتها في المكانات السياسية واحتمالاتها وحدودها المرسومة في المنطقة، الرازحة أمام تجاذبين قطبيين: الخيار الكردستاني ـ العراقي في أفقه التكيّفي مع المشروع الأميركي، والخيار الكردستاني ـ التركي الشعبي الراديكالي المحمول على برامج وممارسات حزب العمال الكردستاني.. فضلاً عن المشروع البورجوازي الكردي المتّجه إلى الاندماج مع المتحد الطبقي البورجوازي السوري.

ـ هل يمكن العبور نحو «بني زيد»؟

ـ مستحيل.

ينتمي حي «بني زيد» الذي يشكل امتداداً عشوائياً إلى الجهة الشمالية الغربية للمناطق الطرَفية في حي الأشرفية، إلى أحياء هامش هوامش الضواحي. يمكن اعتباره بعمومه منطقة مخالفات سكنية، وتعدٍّ على الملكيات العامة والخاصة. حاز على اسمه من الجماعة الوافدة من قرى منطقة «السفيرة» الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة حلب، مدعمين بسلالات القرباط، وكل المطرودين من اختناقات التنمية الريفية ومآزقها المتجددة. ولا يمكن فهم التوسع التضخّمي في هذه الأحياء الطرفية من الضواحي، إلا بفهم المسألة الزراعية في مقاربتها الرأسمالية ـ الكومبرادورية واتجاهها الحتمي نحو طفيلية مدمّرة للقوى الاجتماعية الحية، مغلقة على نموها وتطورها التي تهاوت من علياء غنائية رومانسية ووعود الأبوة الناصرية ـ البعثية إلى هاويات تراجيديا أحفاد السلالة ذاتها: النمو السكاني، انخفاض التعليم، غياب فرص العمل، ضعف مردودية العمل الزراعي..

ـ أتسمحون لنا بالعبور إلى «السكن الشبابي»؟ سألوا حاجز «وحدات حماية الشعب» التابعة للاتحاد الديمقراطي الكردستاني.

ـ لا..

وهذا مجموعة أبنية حديثة قامت بإنشائها مؤسسة الإسكان العسكرية، وجرى تملّك بيوتها وفق أنظمة الجمعيات التعاونية، حيث الدفع على أقساط شهرية، لعشرة أعوام أو خمسة عشر.. جزيرة عمرانية اعتمدت الأنظمة الطابقية الحديثة، مع حدائق وشوارع عريضة.. في محيط من العشوائيات. فوجد ليكون، رغم إرادة المخططين له، بؤرة حضرية استفزازية. لكن كل ما بعد الدوار الثاني خراب.. ما من بناء صالح للسكن في «السكن الشبابي»، كما أنه لا يمكن الوصول إلى الكثير من الأزقة المحاذية.

ـ «أعلم جيداً أن إمبراطوريتي تتعفن كجثة في مستنقع، وينشر تعفنها الوباء في الغربان التي تأكل منها، وفي أعواد الخيزران التي تمتص سائلها. لماذا لا تحدثني عن هذا؟ لماذا تكذب على امبراطور التتار، أيها الغريب؟

ـ نعم، الإمبراطورية مريضة. والأسوأ من ذلك أنها تحاول التعود على جراحها». («المدن المتخيلة»، ايتالو كالفينو).

عزيز تبسي
كاتب من سوريا

فكرة

ماسبيرو:

لا مكان إلاّ لـ«المطبلاتية»

«كلمة أخيرة للسيد الرئيس، يعني ليه مقولة بيقول فيها لما حدّ يوجعني يا مصريين ما تردّوش. اشتغلو. عظيم. المصريين بيشتغلو لكن معظم القيادات في الدولة ويمكن كلّهم همّ اللي ما بيشتغلوش، وسيادتك كمان ما بتشتغلش الحقيقة. ما فيش ملف حليتو لغاية دلوقتي، من يوم ما جيت ومن يوم ما توليت حكم مصر، وبقي على انتهاء العامين من فترة ولاية سيادتك شهور قليلة، وسيادتك وعدت الشعب المصري بعد سنتين يشوفو دنيا جديدة. منتظرين». هذا ما قالته المذيعة المصرية عزّة الحناوي في شهر آذار/ مارس الماضي، وهي تختم إحدى حلقات برنامجها «أخبار القاهرة» على التلفزيون المصري. أوقفت عن العمل وحقق معها في ماسبيرو (مبنى اتحاد الإذاعة والتلفزيون) ومنعت بعد ذلك من دخوله، وقطع مرتبها بقرار من رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون وقتها. ومنذ أيام (السبت 27 آب/أغسطس) أحيلت إلى المحكمة التأديبية مع مُعدّ برنامجها، بتهم من بينها تشويه صورة الرئيس أمام الرأي العام.

هذه ليست المرة الأولى التي تُوقف فيها الحناوي عن العمل بسبب آرائها، إذ كانت قد أُوقفت في عهدَي مبارك ومرسي. وهي ترى أنّ هذه المرّة هي الأسوأ إذ إنّها كانت على الأقل تتلقى نصف مرتبها في المرتَين السابقتَين! وقد علقت الحناوي على قرار الإحالة للمحكمة بالقول للسيسي إنّ نظامه أكثر فاشية من نظامَي مرسي ومبارك، إنها مستعدة للشنق إذا كانت مبادئها على المحكّ، وطرحت تساؤلًا حول المرأة المصرية التي يريدها السيسي: تلك التي تنهض بالمجتمع أم التي تطيع بشكل أعمى؟

في إحدى حلقاتها السابقة، قالت الحناوي إنّ التلفزيون المصري في عهد مرسي كان يحتمل الرأي والرأي الآخر، أما الآن فقد «أصبح للمطبلاتية». وتحدّثت عن الفساد داخل هذا الجهاز الذي تحوّل من خدمة للمجتمع إلى أداة لتلميع صورة النظام. الحكومة رأت أنّ هذا التلميع لم يكن يجري على ما يرام في زمن المدير السابق عصام الأمير فأقالته وعينت مكانه صفاء حجازي التي عرفت وظيفتها جيداً فأصدرت مؤخراً قراراً بمنع 8 مذيعات من الظهور على شاشة التلفزيون قبل أن يخسرن من وزنهن. إذاً أصبح على المرأة المصرية أن تطيع بشكل أعمى وأن تكون في الوقت نفسه ممشوقة القوام!

في يوم إحالة عزة إلى المحكمة، كان وزير الإسكان يقوم بجولة على أهالي المنطقة التي يقع فيها ماسبيرو، للتفاوض بشأن تعويضهم عن منازلهم التي سيخسرونها مع مشروع بناء مثلث جديد للمبنى الذي تقرر العمل عليه العام الماضي. إذاً سيكون هناك مبنى جديد غير ذلك الذي انقطعت الكهرباء عن غرف الأخبار فيه في فضيحة لم يمضِ عليها سنتان. ومع الوقت لن يعود المصريون يسمعون من شاشات تلفزيوناتهم أيّ كلام يحبط الهمم، كذلك الذي كانت تقوله عزّة، أو ليليان داوود التي رُحّلت (كانت في بي بي سي!)، أو باسم يوسف، أو يسري فودة، أو القائمون على برنامج «ثوار لآخر مدى» الذين أوقفوا بدعوى التحريض على التظاهر.

تجديد وتنظيف!

ربيع مصطفى

بيتونة

جمعية آكلي الرصاص

في البصرة، قلت لسائق الباص: أنا جائع، هل تعرف مطعماً مفتوحاً في هذه الساعة المتأخرة؟ قال لي: سألتَ خبيراً، أعرف عجوزاً يضع عربته الجوّالة في مدخل المرأب، ويقدّم طبقاً دسماً من الرصاص المشوي.

الرصاص المشوي هو أكثر المأكولات شيوعاً هنا. الأمر بالنسبة لجائع متأهب للعق الدخان القادم من شبابيك المطابخ مثلي، أعزّ من الحلم، فالرصاص هو أكلة الملوك في تلك الساعة.

تغاضيت عن كرهي له والمتاعب التي يجلبها لأسناني، وشغفي الخاص بالرمانات اليدوية المسلوقة، وزناد البندقية بالبارود وفوهات المسدسات المقلية. تغاضيت عن ذلك وتجاهلته، وتتبعتُ الأغنية الريفية التي تبثها معدتي الفارغة في ذلك الفجر. هناك مطرب يصدح بموال شجي عن الجوع في داخلي.

منذ تلك الليلة وأنا مدمن رصاص، ابتلعه ولا أمضغه. كلّ من أعرفه هو من آكلي الرصاص، وبصراحة يطيب لي أن أشتري الرصّاصات المتعفنة والصدئة من بقايا الحروب، أجففها كما يفعل الأهالي هنا، وأنشرها على الحبال وتبقى معلقة ومبسوطة على الباب طوال الصيف.

مرة، أصبت بالتهاب الزائدة الدودية، تعرفت في المستشفى على عشرات المرضى من آكلي الرصاص ومدمنيه، أجمعهم أحياناً وأخطب فيهم: أيها الزملاء الكرام، أيها الأعضاء في جمعية محبّي ابتلاع الرصاص، حافظوا ـ بورك فيكم ـ على هذه الأكلة، واحتفلوا بها في الشوارع والبيوت واكتبوا عنها على الحيطان. علّموا صغاركم مضغ الرصاص واللهو به، ولا تسمحوا لهم باللعب بدمى من الخشب والبلاستك. الرصاص يوحّدنا.

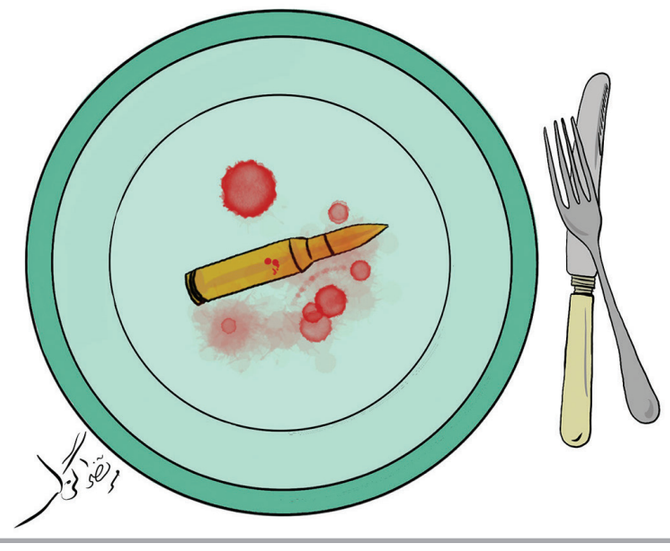

نص ورسم مرتضى كزار

العربي السفير

نوافذ

1900 حالة تهرّب من الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي و2700 حالة فرار في العام 2014 حسب التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعامي 2014 - 2015 الصادر مؤخراً عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

روسيا واليمن: عشق قديم، غزل جديد

مطلع آب/أغسطس الفائت، رفضت روسيا تمرير بيان صحافي في مجلس الأمن الدولي يخاطب الحوثيين وحليفهم صالح بلهجة أكثر حدة بخصوص تصعيدهم السياسي المتمثل بتشكيل «المجلس السياسي الأعلى». كانت تلك هي المرة الأولى التي يلغي فيها مجلس الأمن مشروع بلاغ صحافي بخصوص اليمن منذ العام 2011، إذ لم يواجه بخصوص هذا الملف أي تناقض قوي بين مواقف الدول الأعضاء، ومرر الكثير من قراراته بأقل درجة من الجدل، على عكس ما يخصّ سوريا. وكذلك كانت روسيا مستعدة للتفاوض وتقديم التنازلات بخصوص اليمن في مجلس الأمن، على عكس موقفها المتصلب بشأن سوريا.

لا يزال الموقف المعلّن لروسيا فيما يتعلق بالحرب الدائرة في اليمن يتمثل في ثلاث نقاط رئيسية، هي المطالبة بوقف الحرب (تحديداً من قبل السعودية وتحالفها العسكري)، والعودة للحوار، والتمسّك بوحدة اليمن وسيادتها على أراضيها. وكانت روسيا قد اعترضت رسمياً نهاية آذار/مارس 2015 على التدخل العسكري في اليمن للتحالف الذي تقوده السعودية، ووقفت وراء تعديلات جوهرية على قرارات أممية، منها عدم تحميل جماعة أنصار الله (الحوثيين) مسؤولية نشوب الحرب في البلد، وإنْ مررت فقرات تمنح التحالف العسكري بقيادة السعودية حق تفتيش كل السفن والطائرات القادمة إلى البلاد لضمان خلوها من الأسلحة التي قد تصل إلى تحالف الحوثيين/صالح، في القرار 2216 للعام 2015.

التغييرات

في آخر جلسة مغلقة لمجلس الأمن الدولي بخصوص اليمن، تساءل المندوب الدائم لروسيا في المجلس «كيف سيكون موقف هذا المجلس إذا كان بشار الأسد يطلب منا (الروس) القصف في سوريا بينما هو مقيم في طهران؟»، في إشارة إلى وجود عبد ربه منصور هادي في الرياض، ودعم المجلس لـ«عاصفة الحزم» التي تقودها السعودية في اليمن.

قبل ذلك، كان الموقف الروسي تجاه الأحداث في اليمن قد مرّ بعدة تطورات. ففي العام 2011، بدا الموقف الروسي متّسقاً مع مواقف الدول دائمة العضوية بمجلس الأمن، وأيّدت موسكو «المبادرة الخليجية» لحلّ الأزمة اليمنية. بل كانت السفارة الروسية بصنعاء غرفة عمليات الدول الخمس دائمة العضوية بمجلس الأمن الرّاعية للمبادرة، إلى جانب السفارة الإماراتية التي أدارت منها دول الخليج الرّاعية للمبادرة نفسها سياستها تجاه اليمن حينها. وهناك تناغم واضح بين مواقف الإمارات وروسيا في بعض تفاصيل الملف اليمني، رغم تباعد مصالحهما نظريا. كما صوتت روسيا في 2014، وبعد رفضها في البداية، لصالح 4 قرارات أممية بشأن اليمن، بما فيها قرار فرض عقوبات على قيادات حوثيّة وعلى الرئيس السابق علي عبد الله صالح. تغيير الموقف حدث بعد أن طلب الرئيس اليمني هادي خمسة لقاءات مع السفير الروسي خلال أيام قليلة في صنعاء، لإقناعه بالعقوبات ضد صالح. حينها قال الروس – بحسب واحد من كبار مسؤوليهم في الشأن اليمني :»نحن غير مقتنعين بهذه العقوبات، ولكن إن كان الرئيس هادي يريدها ومصرّاً عليها إلى هذا الحد.. فليكن». ويعبر الرّوس حتى اللحظة عن امتعاضهم من فكرة العقوبات تلك.

تراجع هذا الاتّساق بين موقف روسيا ومواقف الدول الراعية للمبادرة الخليجية، وإن بشكل محدود، عند إصدار القرار 2216 في نيسان/ إبريل 2015، إذ لم تصوت عليه موسكو. لكنها أيضا لم تستعمل حقها في نقضه (الفيتو) وذلك بفضل جهود دبلوماسية بذلتها دول الخليج، والسعودية تحديداً، وصفقات عسكريّة وتجاريّة ضخمة عقدتها مع روسيا.

أول تواصل حوثي - سعودي مباشر بعد نشوب الحرب الحالية تمّ عبر موسكو، وبطلب الطرفين وموافقتهما

في شباط/فبراير 2015، بعد سيطرة الحوثيّين التامّة على صنعاء ووضعهم الرئيس هادي في الإقامة الجبرية، غادرت معظم سفارات العالم. وبعد تمكن هادي من الفرار إلى عدن، نقلت بعض تلك السفارات مقرّاتها إليها حيث أعلنها هادي عاصمة مؤقتة حتى تتم استعادة العاصمة صنعاء المحتلة من قبل «الانقلابيين الحوثيين». إلاّ أنّ السفارة الروسية لم تغادر، وظلت تمارس أعمالها من صنعاء، في موقف منفرد عن الدول العشر الراعية للمبادرة الخليجية. وعلى الرغم من مغادرة السفير الروسي صنعاء بعد ذلك، إلاّ أنّه عاد وزارها في أيلول/ سبتمبر2015 (بعد مرور ستة أشهر على الحرب الدائرة حاليا). وفيها التقى قيادات حوثية وأخرى موالية لصالح، قبل أن تعلن روسيا إجلاءها لعشرات من رعاياها من صنعاء في تصرف متأخر جداً مقارنة بدول أخرى.

الوسيط

لا تمتلك روسيا منافع تجارية أو اقتصادية كبيرة مع اليمن. فتبادلها التجاري مع البلاد لم يتجاوز 178.9 مليون دولار في 2007، لكن علاقتها باليمن متجذّرة على صعيد التسليح وتدريب الجيش. فالجيش اليمني لا يزال سلاحه روسياً بدرجة أساسية، وتخرّج الآلاف من اليمنيين، مدنيين وعسكريين، من الجامعات والكليات العسكرية الروسية. كما كان لدى موسكو قرابة 5 آلاف خبير عسكري في اليمن، قبل أن تتراجع أعدادهم وتتلاشى لصالح مدربين أمريكيين، بعد توقيع واشنطن اتفاقية مكافحة الإرهاب مع صنعاء. وقدّمت روسيا مشاريع كبيرة لليمن منذ ستينات القرن الماضي، أبرزها مطار صنعاء وميناء الحُديدة ومشاريع متعددة في الجنوب والشمال. وفي كانون الأوّل/ ديسمبر من العام 1999 قامت بشطب ما نسبته 80 في المئة من ديون اليمن البالغة 4.6 مليار دولار..

وإذا عدنا إلى الخلف قليلا لتفسير موقف روسيا في اليمن تاريخيا، عبر علاقتها بها وبالسعودية معاً، نذكر أنّ طيارين روس قاتلوا إلى جانب الجيش الجمهوري اليمني (فيما عرف بـ»حصار السبعين» نهاية ستينات القرن الماضي) ضدّ القوّات الملكية التي دعمتها السعودية بقوّة يومها. ومثّل تدخلهم سبباً مباشراً في فك الحصار عن صنعاء. وبعدها بعقد واحد، قادت السعودية جهوداً كبيرة بالتعاون مع واشنطن لحشد ما سمي بـ»المجاهدين العرب» إلى أفغانستان وتمويلهم للقتال ضد الاتحاد السوفييتي حتى انسحابه منها نهاية الثمانينات كإحدى العلامات على وفاته. وهي الفترة نفسها التي دعمت الرياض فيها بكل الوسائل صدام حسين في حربه مع الخميني لثماني سنوات. أي أنّ هناك تاريخاً قوياً لعلاقات اليمن مع روسيا، وتاريخاً أقوى لخلافات الرياض مع موسكو. ولم يزل اليمنيون ينظرون لموسكو بعدسة أخرى أكثر إيجابية من تلك التي ينظرون بها للغرب عموماً، على الرّغم من اعتبار صنعاء حليفا تقليدياً للرياض في موقفها من روسيا في أفغانستان، وموقفها من إيران في الحرب مع العراق، وفي عهد صالح نفسه الذي يشيد في كل مناسبة بعلاقات اليمن بروسيا.

في كل الأحوال، تغيرت المعطيات التاريخية لعلاقات البلدين، والأسس التي تُبنى عليها حاليا ومستقبلا. فموسكو تريد لعب الوسيط الإجباري بين دول الخليج والسعودية، وتحديداً مع طهران، عند الحديث عن أي حل سلمي في اليمن. وهكذا، فإن أول تواصل حوثي سعودي مباشر بعد نشوب الحرب الحالية تمّ عبر موسكو، وبطلب وموافقة الطرفين (الحوثيين والسعوديين)، وهو ما أعطاها بعض الميزات التكتيكية للعب مع الأطراف المختلفة، وتحت مظلة التنسيق مع واشنطن، في ملفات اليمن وسوريا على السواء.

فارع المسلمي

باحث من اليمن

حلـــــم..

ليلى شوا / فلسطين

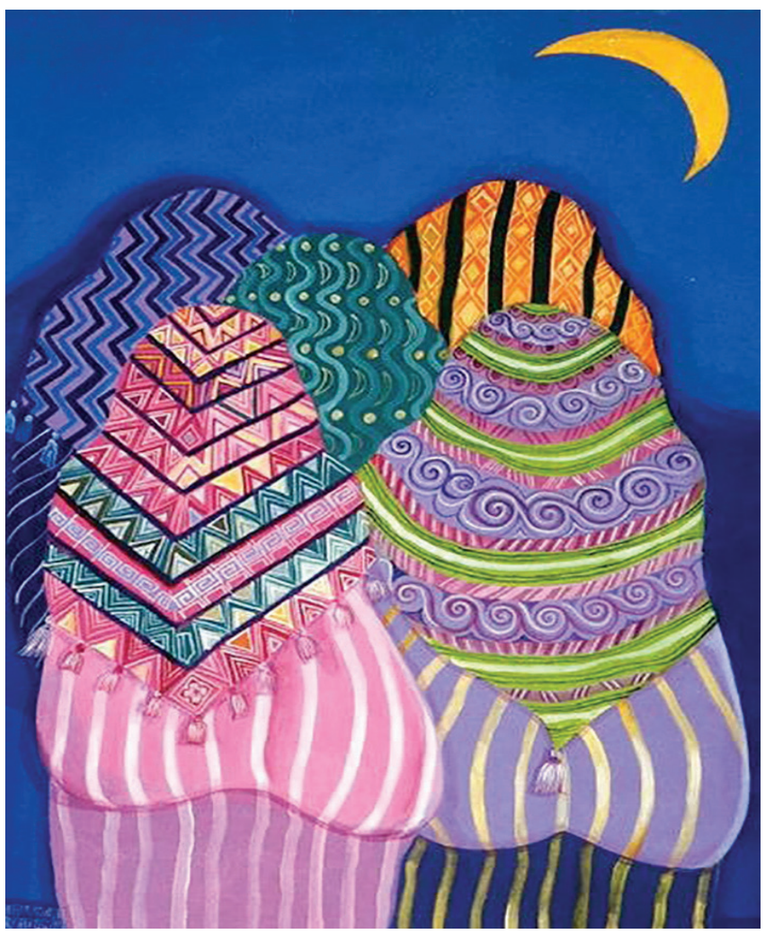

arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»
- شباب ضد دولة الفساد - فؤاد غربالي
- النقاش العام ووسائل الإعلام - عبدالله ساعف
- ماذا يفعل الأميركيون في قرى المغرب العميق - صالح بن الهوري
- ليبيا: جرف النباتات المستوطنة واستبدالها بالإسمنت - أحلام البدري
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة

عيد العذراء في جبل «درنكة»

في منتصف آب/ أغسطس من كلّ عام، يتوافد المؤمنون (مسيحيين ومسلمين) إلى دير العذراء في جبل «درنكة» في أسيوط. ما يقرب من مليون زائر يحجّون إلى الدير بمناسبة عيد انتقال السيدة العذراء، اعتقاداً بأنه كان المحطة الأخيرة للعائلة المقدسة في مصر بعد هروبها من أورشليم القدس.
تسمّى المناسبة بـ»المولد» ويقوم المؤمنون «بالدورة» أي المشي في موكب تُحمَل فيه صور العذراء مريم وتتلى فيه التراتيل. كما يحتفل الأطفال بالعيد في مكان خاص بمراجيحهم وألعابهم.

تصوير: روجيه أنيس - مصر

مدونات

ما قبل الحرب وما بعدها..

تذكروا لما كان معانا مطار في صنعاء وتجي فيه الطيارات الإماراتية والأردنية والقطرية واللفتهانزا وإحنا نفلتهن ونطلع اليمنية؟ تذكروا لما كان معانا رحلات طيران داخلية إلى تعز وعدن وسقطرى؟ كنت كل سنة أجدد الحلم بالسفر إلى سقطرى وما أسافرش.. وقتها كان السفر لسقطرى يحتاج تجميع فلوس، (ليس كما الآن) يحتاج تجميع رؤوس!
تذكروا لما كانت السفرية إلى الاردن والقاهرة مش محتاجة أكثر من تكاليف السفر وقرار؟ كأنهما باب السبح أو مستشفى السبعين! هكذا هي الحروب تحوّل البديهيات إلى أمنيات وذكريات ورفاهية!
قبل فترة، أول ما بدأوا يسرجوا الكهرباء جت بنت أختي تستخدم الكاوية بعد طول فراق، جلس ابنها في الزاوية مفجوعاً من الكاوية كأنها مخلوق فضائي.. عمره 3 سنوات تقريباً، يعني معانا جيل صغير مايعرفش الكاوية.. وهو نفسه سألته أمه مرّة ماتشتي (ماذا تريد) تسمي أختك لما تجي يا أحمد؟.. قال أشتي اسميها قنبلة، عشان ارجمها وتقرح (تنفجر)!

من صفحة Radheya Almutawakel (عن فايسبوك)

الحملة التونسية لمناهضة التطبيع تدين صابر الرباعي

تدين الحملة التونسيّة لمناهضة التطبيع ومقاطعة «إسرائيل» السابقة التطبيعيّة الخطيرة التي أقدم عليها المطرب صابر الرباعي، إذ ظهر مبتسماً في «صورة العار» مع ضابط إسرائيلي مكلّف بتنسيق الإشراف على معبر الكرامة بين الأردن والضفّة الغربية المُحتلّة. وهي نقطة تفتيش حدوديّة تخضع لسلطة المطارات بالكيان الصهيوني. ولم يكتفِ الرباعي بدخول الضفّة الغربية المحتلّة، بل فعل ذلك عبر ممرّ خاصّ بـ «كبار الشخصيات»، وهو ما يفنّد مزاعمه حول «الهدف التضامني» لزيارته. أفلم يكن أجدى بمن يريد التضامن مع الفلسطينيين الذين يعانون الويلات في نقطة التفتيش الإسرائيليّة تلك، وغيرها، أن يمرّ معهم من نفس المكان ويخضع لنفس الإجراءات؟ كما أنّ صورة ثانية نُشرت اليوم بيّنت أنّ الحصول على التصريح بالعبور تمّ بإشراف مباشر من ضابط إسرائيلي يلبس الزيّ العسكري وعليه علم الكيان الصهيوني، وهو ما يفنّد أكاذيب الرباعي عن عدم التقائه بـ «ضبّاط إسرائيليين».
(...) تُثبت هذه الحادثة من جديد تهافت الخطاب المبرّر للزيارات التي يقوم بها في السنوات الأخيرة فنّانون ومثقّفون من تونس إلى الضفّة الغربية المحتلّة بدعوى «التواصل والتضامن مع الفلسطينيين». فبغضّ النظر عن نيات هؤلاء، يتبيّن لنا في واقع الحال كيف تستعمل السلطات الصهيونيّة هذا الأمر كفخّ تكرّس من خلاله التطبيع العربي مع دولة الأبرتهايد والاحتلال. (...) وتجدّد الحملة مطالبتها البرلمان التونسي، والأحزاب الممثّلة فيه، بسنّ قانون لتجريم أشكال التطبيع كافّة مع الكيان الصهيوني (...)

من صفحة BDS Tunisia (عن فايسبوك)

ماهينور المصري تكتب عن لؤي القهوجي

أنا بفشل بشدّة إني أكتب عن صحابي المقربين اللي في السجن.. بس لؤي القهوجي حيقفل حساب عدد أيّامه بـ3 أرقام ويدخل في الأربعة.. النهارده (27-8-2016) اليوم الـ 999 لحبسة لؤي، صاحبنا الجدع اللي كان بيقف جنب كل صحابه.. اللي كان عنده طريقة في الكلام كدة أقرب للكوميديا السوداء.. اللي ما بيحيّدش عن الحق والمؤمن بالثورة.. لؤي اللي بيحب الفن والأدب والسينما.. مش بس صديق بس كمان هو رفيق الحبستين.. لؤي اتمسك في 2 كانون الاول/ديسمبر 2013 من مظاهرة لخالد سعيد.. بالقضيه دي اتحكم عليه بسنتين وانا اتحكم عليا بـ6 شهور.. وطلعت بعد 4 وهو كمل لحد ما عفو ايلول/ سبتمبر جاه وطلع اللي معاه في القضية اللي هما عمر حاذق وإسلام حسنين وناصر ولكن هو ما شملهوش العفو (...) خلصت حكمي في القضيتين و هو لسه جوه.. أنا مش عارفة لما حيخرج حيشوف الدنيا ازّاي ولاّ التغيرات إزاي. أنا كلّ اللي اعرفه بس إنّي بكتب الستاتوس دي علشان في صديق أنا حاسة بالتقصير تجاهه بشدة وأنه واحشني جداً (...) ألف يوم في السجن.. بس الواحد عنده أمل إنك تطلع قريب، والأمل عمره ما خذلني، والأمل سلاحنا اللي مش حتاخدوه مننا في مواجهة قمعكم و ظلمكم.

من صفحة Mahienour El-Massry (عن فايسبوك)